رد على نقد

حـول كتاب (الهفوات النـادرة)

لفرس النعمـة الصابي ـ تحقيق الدكتور صالح الأشتر

منذ صدور كتاب (الهفوات النادرة) لفرس النعمة الصابي في جملة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، قبل أكثر من عامين ، والمقالات النقدية تتوالى في التعريف بالكتاب والتنويه بقيمته الأدبية والتاريخية الكبيرة ، والإشارة الى ما فاتنا تداركه من مآخذ في تحقيقنا العلمي لهذا الأثر العباسي النثري الفريد ، وتعليقاتنا عليه .

ونحن نودّ في هذه العجالة ـ مع شكرنا لكل من أسهم في نقد كتـاب الهفوات واعترافنا بأننا سننتفع بكثير من نقدهم في طبعة ثانية قادمة ـ نودّ أن نعرض لثلاث مقالات (١) بالتعليق اليسير ، التماسا لوجه الحق ، وتعميما للفائدة ، ولهذا نرى أن نسكت هنا عن كل ثناء على عملنا للناقدين الثلاثة ، شاكرين لهم تقديرهم وإنصافهم لما بذلنا من جهد ، وأن نكتفي بالإشارة إلى بعض مآخذهم على عملنا ، مما نريد أن نعلّق عليه منها .

* * *

١ ـ يأخذ علينا صديقنا الدكتور عزة حسن أننا أهملنا ترجمة بعض الأعلام ، فقد ترجمنا في الصفحة الواحدة لبعض منهم دون بعض ، وهو يقول : « ولم نعرف خطّته في ذلك ، ولم يذكر سببا نعرفه » .

ونقول : إن خطتنا في ذلك واضحة ، فنحن نترجم للأعلام التي هي

(١) أولاها لصديقنا الدكتور عزة حسن (مجلة المجمع : الجزء الثالث ـ المجلد الرابع والاربعون) ، والثانية للاستاذ الكبير المرحوم الدكتور مصطفى جواد ـ نضر الله عظامه ورحمه رحمة واسعة وعوض امتنا من فقده بمن يسد مسده (مجلة المجمع : الجزء الثالث ـ المجلد الخامس والاربعون) ، والثالثة لصديقنا وزميلنا في جامعة محمد الخامس بالمغرب الاستاذ محمد بن تاويت (الملحق الادبي الاسبوعي لجريدة العلم المغربية : الجمعة ٢٣ من يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٧٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(شخصيات) في الأخبار التي نحققها ، ونهمل أحيانا كثيرة ترجمة الأعلام التي يقتصر دورها على مجرّد الرواية للخبر : ففي الصفحة التاسعة مثلا ترجمنا لعيسى بن موسى لأنه شخصية يتوقف فهم الخبر عليها ، ولم نترجم للمدائني لأنه مجرّد راوية للخبر ، وفي الصفحة العاشرة ترجمنا لطاهر بن الحسين وأهملنا الترجمة لابراهيم بن المهدي بسبب من ذلك أيضا ، وخطتنا هذه منهج نحاول أن نلتزمه في تحقيق الأخبار التي تسبقها سلاسل أسماء الرواة ، فاذا رحنا نترجم لكل راوية تضاعف حجم الكتاب ، ولم تُعنِ تلك التراجم على زيادة إيضاح للأخبار المروية ! أما مسألة توثيق كل خبر بتوثيق رواته فنحن نكتفي بما نقدم من توثيق الكتاب الذي نحققه جملة في المقدمة ، وعلى الباحث المستقصي أن يدرس عند كل خبر يهمه سلسلة رواته ، ويرجع إلى تراجمهم ليستوثق من صحة ما ينقلون .

٢ ــ ويأخذ علينا الدكتور عزة حسن أننا اكتفينا في معظم التراجم التي أوردناها في تحقيقنا للهفوات النادرة بالإحالة الى كتاب (الأعلام) للزركلي ، ويرى أن الأولى بنا أن نحيل الى المصادر القديمة في الأول ثم إلى الكتب الحديثة !

ونقول إن في (الأعلام) سردا وافيا لتلك المصادر يغنينا عن تكرار سردها ، وقد أوضحنا خطتنا هذه في مقدمة تحقيقنا لكتاب (إعتاب الكتاب) الذي صدر في جملة مطبوعات المجمع أيضا ، فقلنا في الصفحة (٣٧) ما نصه : « اقتصرنا في كثير من الأحيان على الإحالة على كتاب (الأعلام) للزركلي وحده ، ذلك أن الطبعة الجديدة الحافلة من هذا الكتاب قد تكفلت بذكر المصادر التي تترجم لكل علم من الأعلام ، ولهذا كانت الإحالة على كتاب الأعلام تتضمن الاحالة على المصادر الأخرى المذكورة فيه » . وكنا قبل طبعة الأعلام الأخيرة نرى رأي الصديق الناقد ، ونأخذ به ، كما فعلنا في تحقيقنا لكتاب (أخبار البحتري للصولي) الذي كان صدر في جملة مطبوعات المجمع أيضا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ــ ويرى الدكتور عزة حسن أن ما جاء في الصفحة (٥٨) من الهفوات : « ونقلني من الرئاسة والعمالة ، وهي المنزلة الزريّة والرتبة الدنيّة » كلامٌ لا يستقيم ، وأن هناك سقطا بين الجملتين . ونحن نرى أن ليس من سقط ، والمراد أن تلك النقلة هي المنزلة الزريّة والرتبة الدنيّة .

* * *

٤ ــ ويأخذ علينا الدكتور مصطفى جواد ــ رحمه الله ــ أن نقول في الصفحة (٤٨) من مقدمة الهفوات عند كلامنا على المخطوط الذي يجمع كتاب الهفوات وغيره : « ويلي ذلك كتاب بدائع البدائه لابن ظافر الحدّاد» ويرى أنه ابن ظافر الأزدي لا الحدّاد وانه قد التبس الأمر علينا الخ ...

وقد رجعنا الى مصوّرة المخطوط عندنا فقرأنا الصفحة من جديد وفيها : « كتاب الهفوات النادرة ... تأليف محمد بن هلال ... ويليه بدائع البدائه لابن ظافر الحداد ! » وكنا اثبتنا في مقدمتنا ما وجدناه دون تغيير .

٥ ــ ويأخذ علينا الدكتور مصطفى جواد عدة مآخذ يفصّل الكلام عليها غير أن الناقد الفاضل لم يكن محقا في أكثر ما يأخذه علينا ، لسبب واحد وبسيط ، وهو أننا استدركنا نحن قبله جملة مما يخطّئنا به وأشرنا إلى ذلك في جدول (الاستدراك والتصويب) ، وخطأ الناقد الفاضل انه لم يقرأ المستدرك ، ولم ينتبه الى ما قلناه في الصفحة (٥٣) من مقدمتنا للهفوات : « ولا بدّ لي قبل أن انتهي من هذه المقدمة أن أشير الى غنى جدول الاستدراك والتصويب في آخر الكتاب ، وعذري لدى القراء تبيّنه الظروف الصعبة التي رافقت طبع الكتاب وإخراجه » فقد طبع الكتاب في غيبةٍ من محققه ، فالكتاب تم طبعه في دمشق وأنا في اقصى المغرب ، ولم يتح لي أن أشرف على تجارب طبعه !

وهذه أمثلة ممّا صوّبناه واستدركناه وجاء نقد الدكتور مصطفى جواد يعيد تصويبه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ا ــ في الصفحة (٤٨) سقطت كلمة (رجل) من السطر (١٤) فلم يشعر بسقوطه الخ ...

وكنا شعرنا وأشرنا الى سقوط الكلمة في المطبعة في جدول التصويبات ص ٥٣٩ .

ب ــ في الصفحة (٢٢٤) : « فرماني بالزوتين فجرحني » يقول : قلت هو تصحيف الزوبين ...

وكنا صوّبنا التصحيف في المستدرك ص ٥٣٦ وقلنا ما نصّه : تصويبها الزوبين وهو الرمح القصير : انظر كتاب الالفاظ الفارسيّة لادّي شير ص ٨١ .

جـ ــ وفي الصفحة (٢٢٤) حدّثني الهمذاني قال : انحدرت أريد الحامدة الخ ... والصحيح أن الحامدة هي تصحيف الجامدة وهي قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط .

وكنا اشرنا الى تصحيح التصحيف في المستدرك ص ٥٣٦ فقلنا : « يضاف الى الحاشية ٢ من ص ٢٢٤ : وفيه (الجامدة) وهي قرية من اسافل واسط ، بينها وبين البصرة . انظر معجم البلدان : ٢/٩٥ ــ ٩٦ .

د ــ وفي الصفحة (٣٢٢) ورد ذكر الفتك فعلّق محقق الكتاب ما هذا نصه (في ب العتكين) ولم يستطع ان يفعل غير ذلك ، والصحيح أنه ابو منصور الفتكين الأمير التركي الخ ...

ولكننا استطعنا تصحيح الاسم وفعلناه ، واشرنا الى ذلك في المستدرك ص ٥٣٧ فقلنا فيها : (ولعلّه الفتكين مولى معز الدولة وله رياسة في الاتراك ! انظر تجارب الأمم : ٢/٣٣٤) .

وعلى هذا يكون الناقد الفاضل الدكتور مصطفى جواد قد ظلمنا ، ولكنا لا نملك لأنفسنا ــ وقد توفاه الله ــ إلا الإعراب عن مزيد من الإجلال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتقدير نحوه ، فهو ـ رحمه الله وأثابه ـ لم يطّلع على جدول المستدرك والتصويب في آخر الكتاب .

٦ ـ ويقف الدكتور مصطفى جواد عند هذه الجملة الواردة في الصفحة (٨٣) من الكتاب : « يا أبا أميّة إن بعض الأطباء أخبرني أن الأمير مما به قد أمرني أن آمره بالوصية ، وانا اكره أن أستقبله بذاك » وهي عبارة ظاهرة الاضطراب والقلق فيحاول تصويبها فينتهي الى أن الصواب :

« أن الأمير لمآبه قد أمرني أن آمره بالوصية » ونقول : إن تصويب الدكتور جواد يظل ظاهر الاضطراب والقلق فالأمير في حال رجوعه الى الله بالموت ، فهو مائت ، قدأمرني أن آمره . . . فكيف يأمره بأن يأمره الخ . . ؟

الحق أن الذي اهتدى الى تصويب هذه العبارة القلقة هو الناقد الثالث الأستاذ محمد بن تاويت .

* * *

٧ ـ يقول الأستاذ محمد بن تاويت : « وأهم تصحيف وقع ولا بدّ من التنبيه عليه ـ مما لم يتداركه المحقق في المستدرك ـ سقوط الواو من العبارة : « إن الأمير مما به وقد أمرني أن آمره بالوصية . . » الخ . .

وهنا يتسع المجال لمزيدٍ من التفصيل ، ممّا نقدّر أن وراءه فائدة عامة :

لا أماري بأن العبارة كما جاءت في كتاب الهفوات قلقة مضطربة ، غير أني ما كنت لأهتدي إلى تصويبها لولا اطلاعي على ما كتبه الأستاذ الجليل عبد الله كنون والاستاذ محمد بن تاويت حول تعبير (لما به) الذي يدل على أن الموصوف بذلك قد أشفى على الموت وأصبح ميئوسا من حياته ، وللأستاذ عبد الله كنون بحث طريف في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حول هذا التعبير المأثور (١) الذي اتخذ المجمع قرارا باعتماده ، وللأستاذ كنون فضل في ذلك ، وهو عضو في مجمع القاهرة ، أما الأستاذ ابن تاويت فله الفضل في تصويبه عبارة (الهفوات) ولفت نظري إلى هذا التعبير ومعناه .

---

(١) لعل من الفائدة أن نذكر بعض النصوص التي ورد فيها هذا التعبير نقلا عن مقالة الاستاذ عبد الله كنون ومقالة الاستاذ ابن تاويت :

ا ـ من حديث في كتاب العلل عن ابن عمر ان النبي (ص) عاد امراة خثعم فقال لها : كيف تجدينك ؟ قالت :ما أراني الا (لما بي) ... (أي ميئوسا مني) .

ب ـ وفي نهج البلاغة لعلي كرم الله وجهه يصف مريضا ميئوسا منه : (هو لما به) .

ج ـ لابي نواس يهجو أحمد بن روح :

لا رعى الله ابنَ رَوْحٍ ... وسَخَ اسمي بلُعابِه
أسقم اسمي ريحُ فيهِ ... فأظنّ اسمي (لما بـه)

د ـ للامام الشافعي :

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ ... وضاق (لما به) الصدرُ الرحيبُ

هـ ـ للطهوي :

وسألتُ عنه فقيل بات (لما به) ... قلتُ الندى لا شكّ باتَ (لما به)

و ـ لابن دراج :

حتى تركتُ الدهرَ باتَ (لما به) ... صبراً وغادرني السقامُ (لما بي)

ولـه :

حتى تركتُ العـاذلين (لما بهم) ... شغفاً بحبّ التاركيّ (لما بي)

ولـه :

أيهـا المغـرى بقتلـي ... بك أصبحتُ (لما بي)

ز ـ لابي الحسن بن زنباع يخاطب الفتح بن خاقان :

أهبتُ به لِلقول وهو (لما به) ... فلبّى ولم ينسعده نطقٌ ولا فمُ

ح ـ لابن سهـل :

بالله يا موسى وقد لذّ الـردى ... أجهزْ ولا تُبْقِ الجريحَ (لما بهِ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ــ ويشير الاستاذ محمد بن تاويت الى ما في (الهفوات النادرة) من ألفاظ فارسية كثيرة أثارت اهتمامه ويعدّد بعضها ويعلّق عليها تعليقات مفيدة : فالهفوات النادرة يمثل رغم نصاعة أسلوبه ما كان عليه النثر العباسي في القرن الهجري الخامس من غزو الألفاظ الفارسيةالكثيرة له ، ومؤلف الهفوات يستعمل كلمات فارسية كثيرة من أمثال (النشوار والروز والشفتجة وجوانبيرة والزوبين والجوامرك وبرخاش وخرمنجي وقاطرميز وجوامرجة) دون أن يفسّرها أو يعلّق عليها ، في حين انه يفسر بعض الألفاظ الفارسية الأخرى من أمثال :

كوردوير ــ الكاتب الأعور .

بشت بين ــ أبصر بين يديك .

مما يدلّ دلالة قاطعة على أن الألفاظ الأولى التي لم يفسّرها كانت مشهورة في عصره ، والقارىء العربي إذ ذاك لم يكن بحاجة الى أن تترجم له .

ويلاحظ الأستاذ محمد بن تاويت ــ وهو أستاذ الدراساتالفارسية في جامعة محمد الخامس ــ أن في كتاب الهفوات تعبيرات فارسية تُرجمت الى العربية ، من أمثال (خَدَمَه أو خدموه : بمعنى تأدية التحية للملوك)، وفيه التشبيه بالفيل الذي يُستعمل في الفارسية في وصف الشجعان ، كما يستعمل العرب في ذاك التشبيه بالأسد .

ولا يتسع المجال لعرض مزيد من ملاحظات الأستاذ محمد بن تاويت على كتاب (الهفوات) الذي يعده أهمّ كتاب قرأه في عام ١٩٦٩ .

* * *

وبعد ، فهأنذا أقلّب بين يديّ نُسختي من كتاب الهفوات فأجد صفحاتها قد عمرت بالملاحظات والتصويبات المضافة اليها في انتظار طبعة قادمة مصححة ، وأنا موقن بأن نسختي من الطبعة الثانية المصححة ستظلّ تستقبل الملاحظات والتصويبات المضافة اليها ، ذاك أن حكاية جهدنا في خدمة التراث حكاية طويلة لا تنتهي ! أعاننا الله على الإخلاص في العمل ، وجزى عنا كلّ نقدٍ يريد مزيدا من الكمال في خدمة التراث خير الجزاء .

الدكتور صالح الأشتر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net